الجـــــذام

للدكتور أصلى محمد باهى

لمحة تاريخية :

إن من أخبث الأمراض التى منى بها الإنسان فى هذه الدنيا هو « الجذام » أو « الأسد »؛ ويرجع تاريخ نشأته إلى العصور الخالية . وقد حاول بعض علماء أوربا أن يثبتوا أن مصر من عهد الفراعنة كانت مهد هذا الداء الوبيل مستشهدين على ذلك بما وجد من نقوش وتماثيل فى هياكل لأناس لابد أن يكونوا قد أصيبوا بهذا المرض وهم على قيد الحياة ، وخلدوا إما لسمو مكانتهم أو لأغراض أخرى وخلدت معهم أمراضهم لا عن تعمد بل عن براعة فى فن النحت فى ذلك العصر الغابر . إلا إن هناك فريقا آخر يقيم الحجة ، ويؤكد أن الصين والهند وبطاح آسيا هى منبته الأصلى ، وهو إنما جاء إلى مصر عن طريق العدوى بالتنقل والاختلاط . وأخيرا جمع الفريقان رأيهما فى صعيد واحد وقالوا سواء أكانت مصر منبعه أم أن آسيا منبته ، فما لامراء فيه أنه انتقل إلى أوربا من مصر فى القرون الأخيرة قبل الميلاد ، وقد ذكره الشاعر الفيلسوف : « تيتوس لوكريتيوس كاروس » . (عاش من سنة ٩٩ إلى سنة ٥٥ ق . م) فى شعره . ووصفه الطبيب الرومانى « سلزوس » (عاش من سنة ٩٣ ق . م إلى سنة ٧ ب . م) وصفا دقيقا بينا مما لا يدع شكا فى أنه مرض الجذام بعينه . وقد نعت فى ذاك الوقت بداء « التفيل الاغريقى » وأثبت العالم الألمانى « فون برجمان » أن هذا المرض انتشر فى إسبانيا ومهول لومبارديا بشمالى إيطاليا وألمانيا وفرنسا فى القرن الثانى بعد الميلاد . وجاء بعده زميله العالم الباتولوجى « فرشو » وذكر فى مصنفاته أن أوربا أنشأت مئات اللاجىء للمجذومين فى مختلف أنحائها وذلك فى القرن السابع بعد الميلاد . وذلك يدحض الرأى الذى كان شائعا قبلا ، وهو أن الجذام لم ينز أوربا إلا عقب الحروب الصليبية أى حوالى القرن العاشر للميلاد ، ويقول الداحضون لهذا الرأى إن هذا المرض جاء إلى أوربا قبل فجر المسيحية ، إلا أنه ازداد انتشارا عقب الحروب الصليبية .

وما جاء القرن الثانى عشر حتى شمل الجذام انجلترا والدانيمارك والبلاد الاسكندنافية وسائر أرجاء أوربا ، ثم استمر فى الانتشار والازدياد حتى القرن الرابع عشر إذ بلغ إذ ذاك أوج ازدهاره ، فلما أفاقت أوربا من غفوتها وأدركت خطره ، ومن ثم أخذت فى مكافحته ، ابتدأ فى الهبوط والزوال إلى أن جاء القرن السابع عشر فاختفى من بعض الأقطار تماما ، وهى تلك التى ضربت بسهم وافر فى المدنية ، ونفى منه النزر اليسير فى تلك التى لم ترتق بها سبل الكفاح بعد إلى القدر المطلوب .

جرثومه :

الجذام مرض مكروبى ، أى أنه لا ينشأ إلا بالعدوى بجرثومته . وقد تكون العدوى عن طريق الاختلاط أو بالوراثة ، أى أن يولد الطفل من أبوين مجذومين . ومكروب الجذام يشبه كثيرا مكروب السل ، وهو صغير جدا . ولا نقصد أنه صغير لعيننا المجردة ؛ بل نقصد إنه صغير جدا بالنسبة لأنواع أخرى من المكروبات . ولأجل أن نعطى القارىء فكرة تقريبية عن حجم هذا المكروب نقول إنه إذا وضع من المكروب ألف واحد وضعا طوليا بحيث يكون رأس الواحد بمنتهاية الآخر ، وفى خط مستقيم على نمط عربات قطار السكة الحديد كان طول هذا الخط أربعة ملليمترات فقط . أما إذا وضعت الألف منه وضعا عرضيا أى كصف من الجند كان سمكها ٣ر٠ من الملليمتر ، ومن ذلك يمكن للقارىء أن يصور لنفسه طول المكروب الواحد وعرضه .

ويعزى اكتشاف مكروب الجذام ، إلى العالم النرويجى « أرماور هانزن » فى عام ١٨٧٣ ، وأما الذى درس حياته بالتفصيل ، ووضع الأسس الحديثة لدراسته البكتريولوجية ، فهو العالم الألمانى « نايسر » وذلك فى سنة ١٨٧٩ ، ومدة تفريخ المرض ، أى الوقت الذى ينقضى من وقت دخول جرثومته فى الجسم حتى تظهر أعراضه عليه ، هى من ٣ إلى ٥ سنوات وقد تصل فى بعض الحالات إلى ١٠ سنوات .

أعراضه :

هناك نوعان يتميز بهما المرض فى نشأته ونموه ونهايته ، ذا يتوقف على الطريق الذى يسلكه المكروب بعد دخوله الجسم، فمنه ما يلازم أعصاب الجسم ويسير معها أينما سارت ، نه ما يحاول النفاذ إلى الجسم عن طريق الأقنية اللمفاوية . م أعراضه أورام تظهر على جسم المريض فى مواضع مختلفة على كل عقد متفاوتة فى الحجم تثبت فى مكانها ؛ وتتجمد وتنمو ورالوقت ، وقد تتقيح وتخرج منها إفرازات صديدية. وأكثر تظهر هذه الأورام فى الأطارف والوجه ، وقد تنتشر على طول اجبين والأنف والشفتين والخدين بحيث يتشوه الوجه ، كتسب طابع وجه الأسد ، ولذا سمى الجذام أيضا بمرض الأسد » أو « التأسد » .

وكثيرا ما تنتشر العقد الجذامية على طول أصابع اليدين لقدمين ، فإذا ما أصابها التقيح أعقب ذلك عادة تنخر فى عظام أصابع فتسقط من نهايتها ، وقد تكرر هذه العملية إذا سار ريض من تلقاء نفسه فى هذا الاتجاه ، فلا يلبث المريض أن قد أصابع يديه أو قدميه . وقد يجىء الوقت الذى لا ترى من يه إلا الكفين بعد أن فقدتا أصابعهما العشر كذلك يكون حال بالقدمين .

وبعد أن ينال المرض غايته من أجزاء الجسم الخارجية يحول ريقه إلى الأعضاء الداخلية فيصيب الكبد والطحال والكليتين الأعضاء التناسلية وهلم جرا كلا بدوره ، ويحدث فيها من تشويهات ما شاءله ، ويأكل خلاياها الحية ويترك مكانها أوراما خبيثة ملآى بملايين الملايين من مكروبه تزحف بمرور الوقت إلى ما يجاورها من أجزاء الجسم السليمة أو تبعث برهط منها عن طريق الدورة اللمفاوية إلى أجزاء أخرى من الجسم بعيدة عنها ، تلك تنشىء مستعمرة لها فى هذا الجزء الذى حلت به ، وهكذا واليك إلى أن يقضى المريض نحبه . وعلى ذلك فريض الجذام شخص حكم عليه بالموت البطىء ، لا بل هو شخص تمس حكم القدر عليه أن يرى جسمه يتساقط أجزاء ويأكله المكروب حيا كما تأكل الديدان رمة بالية . هذه صورة مصغرة لأعراض هذا المرض الوبيل ، فى بدئه ونهايته .

ولدراسة هذا المرض ومكافحته أجرى العلماء تجارب عدة على أنواع مختلفة من الحيوان ، فحقنوا الفيران والماعز والقرود بمكروب الجذام ، وفى كثير من الحالات ظهرت أعراض المرض عليها بعد ردح من الزمن . وقد وفق « آرننج » للحصول على إجازة من السلطات المختصة بجزيرة « هاواى » لعمل تجارب على قاتل يدعى « كينو » حكم عليه بالإعدام ، وقد خفف هذا الحكم إلى السجن المؤبد لكى يحقنه « آرننج » بمكروب المرض ، وبعد حقنه بعامين تقريبا ظهرت عليه أعراض الجذام المعروفة ، وابتدأ جسم هذا الرجل الذى كان يتدفق قوة وبطشا يتهدم شيئا فشيئا . وبعد سنتين أخريين كان « كينو » فى أثنائهما يكافح المرض بقوة جسمه ، قرر طبيب السجن إحالته إلى مستعمرة المجذومين « بمولكاى » بجزيرة « هاواى » حيث قضى المريض نحبه متأثرا من وطأة المرض .

مدى انتشاره فى الأمم المختلفة :

سبق أن ذكرنا أن الجذام بعد أن كافحته أوربا تضاءل وقل عدده حتى يمكن أن يقال إنه قارب الزوال من تلك القارة ، وإذا تبسطنا فى القول قلنا إنه تركز الآن فى النرويج وروسيا وإسبانيا والبرتغال والبلقان وجزيرة ايسلنده . ومهما يكن مجموع ما هو موجود منه اليوم فى أوربا بالنسبة لعدد سكانها فأنه لا يعد شيئا مذكورا فى عالم الوبائيات ، ولا سيما بعد أن تتاح لنا فيما بعد فرصة للمقارنة بينه وبين ماهو موجود فى بقاع أخرى من الكرة الأرضية . ويقدر الإخصائيون ما هو موجود الآن منه فى أوربا بنحو ٥٠٠٠ حالة ، وإذا علمنا أن عدد سكان الصين يعادل تقريبا عدد سكان القارة الأوربية اعترانا الدهش أو بالأحرى الذهول حينما يقال لنا إن بالصين ما يزيد عن مليون مجذوم ، وهذا يوضح لنا مرة أخرى مبلغ تأثير المدينة فى مكافحة المرض والقضاء عليه وكذلك استتبابه وتغلغله فى تلك الأقطار التى لا تزال تغط فى سبات عميق من التواكل والخمول . أليس من المزعج لا بل من المؤلم أيضا أن يكون المرض منتشرا فى الصين بنسبة تعادل ٢٠٠ ضعف قوة انتشاره فى أوربا ... !!؟

ويوجد فى الهنـد نحو ٣٠٠,٠٠٠ مجذوم وفى مصر نحو ١٠,٠٠٠ مصاب بهـذا المرض ، وأكثر بقاع الأرض إصابة به هى « كولومبيا » فى أمريكا الوسطى وجزيرة « مدغشقر » بالمحيط الهندى ، وهذه الجزيرة هى التى تحمل الرقم القياسى لهذا المرض . وليس أدل على ذلك من أن بتلك الجزيرة التى يزيد سكانها عن المليون نحو ٨٠٠٠ مريض بالجذام أو ما يعادل أضعاف قوة انتشاره فى الصين وعشرة أضعاف قوة انتشاره بمصر . ولا داعى لأن نقارنه بقلة انتشاره فى أوربا إذ ربما نصاب بدوار بالرأس أو ذهول .

كيف كافحته أوربا حتى قضت عليه :

لا مشاحة فى أن الحضارة فى العصور المختلفة هى التى تكيف حياة الفرد ؛ بل حياة الأمة ، والأمم التى تأخذ بأسبابها تطبعها بطابعها الخاص فتهديها إلى ما يجب عليها عمله فى أمر من الأمور أو فى مشكلة اجتماعية خاصة ، وتنهاها عما لا يتفق وروح تلك الحضارة . وقوة تفكير الفرد مستمدة من ينبوع حضارته . وهذا مرض الجذام خير دليل على ما للمدنية من قوة فعالة للقضاء على الخبيث من الأمراض ، وإسعاد الشعوب بإرشادها إلى ما يحميها مما يهدد كيانها أو ينغص عليها حياتها .

إن أول ما فعله الأوربيون فى القرون الوسطى حينما انتشر المرض بين ظهرانيهم ، ورأوا من ضحاياه الكثيرين فى الشوارع والطرقات يسيرون هنا وهناك ، أن اشمأزوا من رؤيتهم ، وتأففوا من لمسهم وتجنبوا الاختلاط بهم أو التعامل معهم ، وهذا هو العزل الفطرى ، عزل السليقة والأيحاء ، وهو فى تاريخ الطب الحجر الأول فى نظام العزل الذى نعرفه اليوم « بالعزل أو الحجر الصحى » . أزعجتهم فى بادىء الأمر تلك التشويهات الخطيرة التى أحدثها المرض بأجسام ضحاياه ، وبالرغم من أن جوهره وأسبابه كانت مجهولة لهم تماما إذ لم يكونوا يعلمون من علم الميكروبات شيئا ، إلا أنهم رأوا بالرغم من ذلك كله ضرورة إسكانهم فى بيوت خاصة بهم ومنعزلة عن الأصحاء من أبناء جلدتهم ، وقد اختيرت لهم فى أغلب الأحيان بيوت واقعة خارج المدن لضمان عدم اختلاطهم بباقى السكان .

ولما كان عدد المجذومين فى ذاك العهد كبيرا ، وإيواؤهم ثم إطعامهم لا تقوى الحكومات على القيام به منفردة ، انبرى أغنياؤهم إلى مد حكوماتهم بالإعانة والتبرع والإحسان ، وصرح للمجذومين فوق ذلك أن يجوبوا الطرقات للاستجداء ليساهموا هم أيضا إلى حد ما فى سد نفقاتهم ، إلا أنه فرض عليهم فى نفس الوقت أن يرتدوا لباسا خاصا ، ويضعوا فوق رءوسهم غطاء معينا ليراعم الجمهور من بعيد ويتميزهم . وإذا غفل عابر سبيل عن أن يرى مجذوما مقبلا عليه كان محتما على المجذوم أن يرفع رداء نصفيا يغطيه حتى الذراعين بضع مرات متوالية فى الهواء مؤديا حركة تشبه طائرا يرفرف بجناحيه حتى يسترعى نظر من هو مقبل عليه ليحذره ، ولا يصطدم به ، والويل ثم الويل للمجذوم إذا هو غفل عن ذلك فإنه كان يعاقب إذا ذاك عقابا صارما .

أصلى محمد باشمى

إدارة البلديات — الكهرباء والميكانيكا

إعـــلان

تعلن إدارة البلديات العامة بالقاهرة بأن المناقصة العامة التى كان محدداً لفتح مظاريفها بالإدارة ظهر يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩٤٦ عن توريد وتركيب مجموعة مكونة من محرك كهربائى تيار مستمر وطلمبة ومشتملاتها لعملية مياه الرشح بشبين الكوم قد تأجل موعد فتح المظاريف إلى ظهر يوم ١١ / ٦ / ١٩٤٦ .

٥٢٣٥